منظمـة الصحـة العالميـة

جمعية الصحة العالمية التاسعة والخمسون
البند ٤ من جدول الأعمال

ج٥٩/ متنوعات/٧
٢٦ أيار/ مايو ٢٠٠٦
A59/DIV/7

كلمة صاحب السمو الملكي أمير ويلز أمام جمعية الصحة العالمية التاسعة والخمسين

جنيف، يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ أيار/ مايو ٢٠٠٦

السيد الرئيس، المدير العام بالنيابة، السيدات والسادة،، أشكركم جزيل الشكر على دعوتكم لـي لكـي ألقي كلمتي أمامكم اليوم، وإن من دواعي سروري رغبتكم في أن ألقي كلمة على هذا الجمع المرمـوق مـن وزراء ومسؤولين من جميع أنحاء العالم.

وقبل أن أبدأ كلمتي، وفي هذه اللحظات الصعبة والحزينة، أود أن أتقدم بخـالص التعـازي لزوجـة الدكتور لي وعائلته، ولكل من عرفوه من قريب أو بعيد، في هذه الأوقات الحزينة. ولقد تطلعت كثيراً للقـاء الدكتور لي الذي كان له، مرة ثانية، بهذه المناسبة، دور كبير في دعوتي لأكون هنا بينكم اليوم، ولقد صدمت وانتباني الحزن بعد ما سمعت بهذه الفاجعة، وأنا على يقين من أنكم جميعاً انتابتكم المشاعر ذاتها بعد سماعكم نبأ وفاته المبكرة.

سيداتي سادتي، هناك من بينكم ممن استمعوا إلي في الماضي وأنا أتحدث عن شؤون تتعلق بالرعاية الصحية، وقد لا يستغرب هؤلاء أن يسمعوني وأنا أقول إن التكامل هو موضوع حديثي اليوم. وجمعية الصحة اليوم هي إلى حد ما تجسيد حقيقي للتكامل. ولكنكم تتفقون معي من غير شك في أن الأمر يختلف تماماً خارج جدران هذه القاعة. فالآراء التي نحملها منذ وقت طويل جداً بشأن العالم كانت، وفي عدة أوجه، آراء مجـردة ومجزأة إلى حد خطير أدت إلى تخلينا عن قدر كبير من المعرفة والحكمة التقليدية الثمينة. وبالتالي فقد بـدأنا الآن نجني ثمار ما زرعناه نتيجة لاعتمادنا في العيش على رأسمال الطبيعية عوضاً عن إيرادها. وأنا أؤمـن، سيداتي سادتي، بأن الحاجة أصبحت ملحة وعاجلة الآن لإعادة هذا التوازن، الهش والحيـوي فـي آن، بـين الإنسان والطبيعة، وذلك من خلال اتباع نهج أكثر تكاملاً يمتزج فيه أفضل ما قدمته لنا العصور القديمة مـع أفضل ما يتيحه لنا العصر الحديث. وأنا مقتنع بأن هذا الأمر يزداد أهمية بقدر ما يتعلق بصحة الناس جميعـاً في بلداننا كافة.

وما أقوله اليوم لا ينبغي بالطبع أن يبخس، بأي شكل كان، من قيمة النجاح الرائع الذي حققه الطـب الحديث، خلال القرن العشرين على وجه الخصوص، في توقي ومعالجة أمراض فظيعة مثل الجدري وشـلل الأطفال. وقد استفدنا أيضاً استفادة طيبة من النموذج الفيزيائي الحيوي، الذي مازال يخـدمنا، فـي التـصدي لمجموعة من الأمراض منها السل والأيدز. ولكننا، وفي مطلع القرن الحادي والعشرين، لانزال نواجه تحديات أخرى تفرضها علينا عوامل ممرضة مروعة تهدد بالانتقال بين الأنواع الحية ومآسـي الكـوارث الطبيعيـة والآثار التي تلحق بالصحة نتيجة للنزاعات العسكرية وهجرة السكان. ولمنع هذه المعاناة ومكافحتها علينـا أن

نفكر فيما هو أبعد مما اعتدنا عليه في تجزئة كل شيء إلى عناصر، وهذا هو الأمر الذي على الطب الحديث أن يتبع فيه نهجاً أكثر شمولاً.

وأرى أن ذلك ينطبق أكثر على الأمراض الطويلة الأجل. فهي، كما تناهى إلى سمعي تعـرف باسـم "الوباء الصامت"، ولكن الإحصاءات تجهر بصوت مرتفع كصوت الأمراض المعدية نفسها. ووفقـاً لمنظمـة الصحة العالمية، فإن الأمراض المزمنة تتسبب في رقم هائل وقدره ٣٥ مليون وفاة من بين ٥٨ مليون وفـاة تحدث سنوياً في جميع أنحاء العالم. وتُعد هذه الأمراض الآن السبب الرئيسي لوفيات الراشدين في كل بلد من بلدان العالم تقريباً. ولقد وجدت وزارة الصحة في حكومة المملكة المتحدة أن ٨٠٪ من مجموع الاستـشارات الطبية تتعلق بالأمراض المزمنة، والتي تتراوح بين أمراض القلب والسكتة والسكري والاكتئاب والإدمان.

إن أياً منا غير محصن ضد هذه الأمراض. ولابد من التأكيد جيداً على أن هذه الأمراض لا تقتـصر على مجتمعات الوفرة فحسب، وإنما هي أمراض يبتلى بها الأغنياء والفقراء على السواء.

ولقد أُخبرت، على سبيل المثال، أن ٣٥٪ من نساء نيجيريا يعانين من السمنة. وفي الصين، أفيد بأن ١٦٠ مليون شخص يعاني من ارتفاع ضغط الدم، بينما يبدو أن حالات السكري سترتفع في آسيا بمقدار ٩٠٪ خلال الأعوام العشرين المقبلة. وفي المملكة المتحدة، يتوقع أن يتضاعف عدد الأطفال المصابين بالسمنة خلال السنوات العشر المقبلة. وبالفعل، فلقد ذكر مؤخراً المدير التنفيذي للجنة المراجعة المالية في المملكة المتحدة أن هذا الأمر وحده سيؤدي إلى انخفاض متوسط العمر المأمول عموماً لدى الجيل القادم من الراشدين البريطانيين. وهذه الأمراض لا تتسبب في قصر العمر بدرجة هائلة فحسب، ولكنها تشكل أيضاً تهديداً خطيراً لنوعية حياة الكثير من الناس، إذ تؤدي إلى إمراضهم وإضعافهم تدريجياً. ويمكن، كما يبدو لي، اعتبار هذا التسارع فـي انتشار الأمراض الطويلة الأجل نتيجة من نتائج النُهج المجزأة المتبعة في المجال الصحي، والتي تخفق بدورها في تحقيق تلك الصفة التي على ما يبدو الأكثر استعصاء على الفهم، ألا وهي الاتساق.

سيداتي سادتي، إنني أعتقد بشدة أننا لا ينبغي أن نعتبر سوء الصحة أمراً قائماً بذاته، وإنما هو نتيجة مباشرة لمجتمعاتنا وثقافاتنا وأنماط حياتنا وأسلوب تفاعلنا مع بيئاتنا. وحالتنا الصحية ليست سـوى انعكـاس للغذاء الذي نتناوله والرياضة التي نمارسها والماء الذي نشربه والهواء الذي نتنفسه ونوعية المـساكن التـي نعيش فيها والإصحاح المتاح لنا. وأعتقد أن ذلك يمتد أيضاً إلى احتياجاتنا وظروفنا الاجتماعية - أي ضرورة انتمائنا إلى مجتمع ما واحتياجنا إلى أداء عملٍ مجد وإلى هدف يومي. إن حاجتنا في الحياة إلى الكرامة والرفق واحترام الذات والأمل، وقبل كل شيء الاتساق، بل إنني أجرؤ أن أقول حاجتنا إلى الجمال. ويشمل ذلك قـوة الفن، وقدرة المداواة والالتئام التي تمتاز بها علاقات الحب الإنسانية بين البشر وما للروح الإنسانية من دور. وصحة الإنسان هي حاصل جمع كل هذه الأجزاء. وإن أهملنا عناصر الحياة الأساسية هذه أو قللنا من شأنها، ألا نكون نهمل ما يمتاز به الإنسان أيضاً؟

وإلى حد الآن، تبدو الأمور وكأننا نفعل ذلك يومياً. فتلوث بيئتنا (بمعناه الواسع تقريباً) لايزال منتشراً على نطاق واسع. وكما أشار إليه الرئيس السابق للجنة الملكية المعنية بالتلوث البيئي في المملكة المتحدة فـي تقرير بعنوان "المواد الكيميائية في المنتجات" فإن "فهمنا لطريقة تفاعل المواد الكيميائية مع البيئة يوحي بأننـا نجري تجربة ضخمة على البشر وكل الكائنات الحية الأخرى بوصفها موضوع هذه التجربة".

وإذا سممنا كوكبنا ولوثناه فإننا نكون قد سممنا أنفسنا ولوثناها. وقد تتـسبب الملونـات والمـضافات الغذائية في مشاكل صحية للكبار والصغار، كما أن للشحوم المهدرجة والنظام الغـذائي غيـر الـسليم صـلة

بأمراض القلب، وقد تظلّ بقايا مبيدات الهوام المستخدمة في أساليب الزراعة التقليدية في أجـسامنا لـسنوات عدة، وهذا أمر مفزع حقاً.

ولمعالجة هذه المسائل، أرى أنه يجدر بنا أن نكون على استعداد لتغيير طرق تفكيرنا بشكل جـذري، بما يتجاوز دون شك النُهج الصحية الكلاسيكية. لقد أدركت ومنذ زمن طويل أننا فقدنا بشكل ما الصلة بغريزتنا وبفطرتنا في علاقتنا ببعضنا البعض وبالبيئة. ولقد حان الوقت دون شك لكي نعترف بـأن تعقّـد الأمـراض المزمنة يتطلب حلولاً مدروسة ومتعددة الأبعاد. وعلينا أن نعيد النظر في طريقة زراعة أراضينا، وكيفية إنتاج غذائنا، وتشييد مدننا، ورعاية تراثنا الطبيعي القيم ونحافظ عليه. ولن يكفي في المستقبل أن نفخر بـأن بنـاء المنازل بطريقة جديدة يكاف الكثير ويحقق الفعالية فيما يخص الوقود. إن علينا أن نسأل: هل تحقـق منفعـة للإنسان؟ وهل تشجع على تحسين الصحة البدنية والنفسية والرضا عن الحياة؟ أو تساعد على بنـاء مجتمـع أصيل؟ وهل تلبي الحاجة الإنسانية إلى الجمال؟

ولما كان القليل من الأمراض الطويلة الأجل قابلاً للشفاء، فإننا نحتاج أيضاً للتفكير بعمق في أهـدافنا المتعلقة بتحسين نمط حياة الذين يعانون من أمراض مزمنة. وإن الحاجة إلى تجنّب تدهور الأوضاع وتحسين نوعية الحياة إلى أبعد حد ممكن وقدرة المريض على ممارسة حياته اليومية أمور تتطلّب اتباع نهـج أشـمل يضمن احترام خيارات الفرد وثقافته وتطلعاته.

وهذا هو المجال الذي يمكن فيه للممارسة الكلاسيكية أن تتعلم من الطب التكميلي، فالغرب يمكـن أن يتعلم من الشرق والخاف يمكن أن يتعلم من السلف. ولقد دافعت طيلة السنوات الأربع والعشرين الماضية عن تمكين المرضى من الاستفادة من "أفضل ما في العالمين" - الطب التكميلي والطب الكلاسيكي- كجزء واحـد من نهج متكامل للمداواة. والعديد من العلاجات التكميلية الحديثة يضرب بجذوره في التقاليد القديمـة والتـي فهمت بداهة الحاجة للحفاظ على التوازن والاتساق بين عقولنا وأجسامنا والعالم الطبيعي. والعديد مـن هـذه المعارف غالباً ما يقوم على تقاليد تنتقل بالمشافهة، ويا للأسف فهي على وشك الضياع، في الوقت الذي يجب على الطب الكلاسيكي فيه أن يتعلّم منها الكثير. إنه لأمر محزن، وإنه يبدو لي وللكثيرين الذين درسـوا هـذا المجال في مجمله بالفعل أنه في هذا السعي الدؤوب إلى "تحديث" العديد من النهج النافعة التي خضعت للتجربة والاختبار وبرهنت على فعاليتها، قد نُحيت تلك النُهج جانباً بدعوى أنها "طرق بالية" أو أنها "غيـر مناسـبة" لاحتياجات العصر.

وهناك أمثلة واضحة تخطر على الذهن، وخاصة في مجالي العلاج بالوخز بالإبر والعلاج بالأعشاب. ففي الوقت الذي يحاول فيه العلماء معرفة المزيد عن طريقة عمل الوخز بالإبر، فإن البينات المتزايدة القـوة التي يتم استخلاصها من عدد من الدراسات الدولية تدل على أنهما طريقتان نفاعتان وخاصة في معالجة حالات مثل التهاب مفصل الركبة. وكذلك يمكنهما بحسب البينات العلمية تخفيف الغثيان والقيء اللذين يرهقان كثيـراً أولئك الذين يتناولون الأدوية المضادة للسرطان.

وفي حالة تطبيقات العلاج بالأعشاب، كطريقة القديس جونس وورت (*Hypericum perforatum*) التي ظلت مستخدمة منذ الإغريقيين القدامى، بينت ثلاثون تجربة سريرية بعض آثارهـا الإيجابيـة فـي معالجـة الاكتئاب غير الشديد، مع قلة ظهور الأعراض الجانبية إلى حد بعيد. غير أن من الجدير بالذكر أنه في الوقت الذي بدأ العالم يدرك القيمة العظيمة لهبة الطبيعة في الاعتناء بصحتنا، فإن الموائل الإيكولوجيـة أو التقليديـة التي تأتي منها تتعرض للدمار بوتيرة سريعة وأنا أتحدث إليكم الآن. وإذا لم نتوخ اليقظة الشديدة سنفقد نظاماً حيوياً لدعم حياة الأجيال القادمة.

ويبدو لي، سيداتي وسادتي، أننا جميعاً علينا أن نتعلم من بعضنا البعض، سواء أكنا نعيش في بلد من بلدان الوفرة أم في بلد نامٍ. وقال أبو قراط "عليك أولاً بتجنب الإيذاء". وأعتقد أن المزج السليم بين طرق المعالجة التكميلية والتقليدية والحديثة التي ثبتت فائدتها والتي تركّز على المشاركة النشطة للمريض من شأنه أن يساعد على خلق قوة علاجية متينة لصالح عالمنا.

وتُعد السمات الإنسانية مثل مشاعر الشفقة والتعاطف واللمسة الحانية والتواصل ذات أهمية حيوية بالنسبة إلى الطب، تماماً مثلما هي بالنسبة للذات الإنسانية ككل. ويعطي النهج التكاملي لكل فرد السبل اللازمة للمساهمة في تحقيق الشفاء والأمل فيه. والذين يمارسون النهج التكاملي في العلاج يعطون الوقت والتعاطف والأمل والثقة - أو ما يسمى "الأثر الإنساني" - والذي يمكنه أن ينتج تغييرات كبيرة في نظام المناعة. وهذه التغييرات بالإمكان البرهنة عليها عن طريق تصوير الدماغ بالأشعة، وتمنح دلائل علمية لتوضيح كيف أن الاعتقادات والعواطف يمكن أن تؤثر على صحتنا البدنية وعلى الإحساس بالمعافاة. ويمكن، إذن، أن يلعب عامل "الأثر الإنساني" دوراً هاماً يمكن إثباته في النهج العلاجي ككل.

وفي المملكة المتحدة كانت مؤسستي للصحة المتكاملة رائدة لهذا النهج المتكامل طيلة السنوات الإحدى عشرة الماضية. ويعمل المحفل العالمي لقادة الأعمال، أحد منظماتي الأخرى، بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، في عدد من المشروعات التي تستهدف إيجاد السبل الكفيلة بتحسين الصحة من خلال توفير نظام غذائي أفضل وزيادة النشاط البدني في عدد من البلدان.

وتشجع مؤسستي للصحة المتكاملة، كجزء من نهجها، على البحث في مجال الطب التكميلي وعلى تنظيمه حتى يكون المرضى على ثقة في مأمونيته وفعاليته. وإني لمسرور للغاية لأن مؤسسة الصحة المتكاملة تعمل الآن مع منظمة الصحة العالمية والصندوق الملكي بلندن في مشروع جديد يتمثّل هدفه الرئيسي في اختبار واستكشاف نُهج مختلفة لتنظيم الطب التكميلي على النطاق العالمي.

ولدى المؤسسة أيضاً مخطط جوائز للمشروعات المتكاملة. ولقد زرت مؤخراً أحد هذه المشاريع في منطقة داخلية محرومة في إحدى المدن، وأظهر ذلك المشروع كيف أن أحد النهوج المتكاملة التي تستخدم العلاج بالوخز بالإبر، بالإضافة إلى علاجات تكميلية أخرى، يبدو مفيداً جداً وخاصة بالنسبة للمرضى ذوي المشاكل النفسية. ولقد أنشأت مؤسستي مؤخراً جمعية لممارسي الطب السريري الذين يطورون النُهج المتكاملة على نطاق المملكة المتحدة. وما كان ينظر له في البداية على أنه نهج ثانوي، هو اليوم يصبح بشكل متزايد نهجاً رئيسياً.

والآن سيداتي وسادتي، إن المسألة، في نظري، لا ينبغي أن تظل تحديد ما إذا كانت خدمات الرعاية الصحية خدمات متكاملة أم لا، بل متى يمكن تحقيق ذلك؟ وليس عليكم أن تكتفوا بخطابي هذا بل انظروا لكل المؤشرات من حولكم. ففي المملكة المتحدة مثلاً بين بحث أُجرى في السنوات الأخيرة أن ٥٠٪ من الممارسين العامين يحيلون مرضاهم إلى الممارسين التكميليين، وبحسب مسوح أجراها تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) فإن أكثر من ٧٥٪ من المرضى يرغبون في أن يُتاح لهم الاختيار بين النهج التكميلي والنهج الكلاسيكي في علاج مشكلاتهم.

ويحدوني أمل كبير في أن تتمكن مؤسستي من العمل مع منظمات مماثلة في بلدانكم، وأن تتعلم من هذه المنظمات، وذلك لأن أمامنا جميعاً، كما ذكرت، الكثير والكثير الذي نتعلمه من بعضنا البعض. وقد قال الدكتور ألبرت شوايتزر، المهتم بالشؤون الإنسانية وعالم اللاهوت الحاصل على جائزة نوبل في السلام، "إن

الخطوة الأولى في تطور الأخلاقيات هي الشعور بالتضامن مع سائر إخواننا في الإنسانية". أم الخطوات الأولى في تقاسم حلولنا المتكاملة فأرى أنها تتم بالفعل.

وأُدرك، على سبيل المثال، أن منظمة الصحة العالمية تعكف على إعداد أطلس عالمي لاستعمال الطب التقليدي (الشعبي) والطب البديل والطب التكميلي، وهو أمر تبعث رؤيته وهو يتم شيئاً فشيئاً على الانبهار. ويبدو لي أنه يشكل بداية مفيدة لتخطيط نهوج صحية متكاملة في جميع أنحاء العالم. وتعد حالة نبات الأرتيميسيا مثالاً دالاً على المجالات التي يمكن فيها إحراز تقدم حقيقي. فنبات الأرتيميسيا، وهو نبات ينمو في الطبيعة، ويستخدم في الصين منذ زمن طويل لعلاج الملاريا، يعد الآن من خيارات العلاج في أنحاء عديدة من العالم. وقد نما إلى علمي أيضاً أنه يزرع الآن في أفريقيا، وأن منظمة الصحة العالمية تسعى إلى ضمان إتاحته في خاتمة المطاف لكل من يحتاجون إليه.

وقد أُبلغت كذلك بأن هناك برنامجاً لمكافحة الفقر يسمى "بونتي" يستهدف مساعدة أفقر الأسر في شيلي. ومن خلال اتباع نهج شامل جامع يعزز الصحة والعافية بواسطة مبادرات خاصة بالصحة والتوظيف والإسكان والتعليم، يبدو أن تلك المبادرة تدعم صحة الأسر التي تكافح للهروب من براثن الفقر الطويل الأمد. وفي الوقت ذاته، ففي المملكة المتحدة برهن المشروع المعروف باسم "مشروع بيكون" في فالموث على أن دعم وتمكين المجتمعات المحلية المحرومة يمكن أن يساعد على إحداث تحسينات تشمل الحد من الإصابة بالربو، والاكتئاب بعد الولادة، فضلاً عن خفض عدد حالات حمل المراهقات.

لذا فإن علينا، سيداتي وسادتي، أن نعمل معاً على إيجاد سبل جديدة وخلاقة لوضع نهج متكامل إزاء الصحة من شأنه أن يشمل السياسات التغذوية والطبية والزراعية والبيئية والاجتماعية. وفي خضم معركتنا مع مشاكل الأمراض المزمنة المعقدة، والتي يمكن لها جميعاً، وبكل سهولة، أن تصيبنا بالارتباك في السنوات القادمة، وفي إطار جهد يرمي إلى مكافحة الأزمة البيئية العالمية، لابد من أن نعيد اكتشاف ودمج بعض المعارف والممارسات المجربة جيداً، والتي تراكمت على مدى آلاف السنين.

ولا يسعني إلا أن أحث جميع وزراء الصحة والساسة وممثلي الحكومات، الموجودين في هذه القاعة، على التخلي عن المواقف التقليدية التي تعتبر الصحة من اختصاص إدارات الصحة فحسب. ففي الصين القديمة لم يكن الطبيب ليحصل على أجره إلا إذا شُفي المريض من مرضه. أما في النُظم الصحية الحديثة فقد يتوقف نجاحكم الملحوظ على الحصائل الصحية وعلى مدى كون الصحة مسؤولية كل إدارة من الإدارات في حكومة بلدكم. إننا لن نستطيع أن نرسم صورة واضحة للمداواة في العالم إلا بالتفكير التعاوني.

وإذا لم يكن ذلك كافياً فإنني أود أن أتركم مع أحد التحديات، إذا جاز لي ذلك.

ويبدو لي أن النُهج التعاونية هي السبيل الوحيد الذي سيتيح لنا توليد أفضل الأفكار وإعداد أفضل الخطط. ومن ثم، سيتسنى لي إثارة روح التحدي فيكم على أساس هذه الفكرة وهو تحد آمل أن يكمل المرامي الإنمائية للألفية الصادرة عن الأمم المتحدة. فهل لي أن أقترح أن يبحث كل بلد من البلدان الممثلة هنا اليوم إمكانية إعداد خطة متكاملة خاصة به في مجال الصحة والرعاية خلال السنوات الخمس المقبلة مع البدء، إذا أمكن، بإجراء دراسة تجريبية أو دراسة جدوى؟ وينبغي أن تعكس هذه الخطة ثقافاتكم المختلفة وتقاليدكم في المجال الطبي إن صح التعبير، وينبغي أن تقر كذلك بالأهمية التي تكتسيها كل جوانب البيئة الطبيعية. وينبغي أن تدرج هذه الخطة الخدمات الطبية ضمن النُهج الفردية والمجتمعية للصحة والرعاية الذاتية، وتستند إلى النماذج القائمة في مجال الصحة والرعاية المتكاملتين والقائمة في كل مكان. وإذا كنتم تعتزمون ابتكار مثل

هذه الخطط، فلماذا لا تطلبون من وزراء المالية في بلدانكم قياس حجم الوفورات التي يمكن تحقيقها من هـذا التركيز الجديد والحاسم على الوقاية والعلاج؟

ولعلكم، تعلمون أنني أصدرت تكليفاً العام الماضي بإعداد تقرير بهدف تشجيع إجراء مناقـشة أكثـر استنارة بشأن فعالية مختلف العلاجات الكفيلة بتحقيق وفورات في نهاية المطاف. ونُشر التقريـر الـذي قـام بإعداده الخبير الاقتصادي البريطاني كريستوفر سمولوود في شهر تشرين الأول/ أكتوبر الماضي ووجد بينات تدل على أن النُهج التكميلية قد تساهم في سد الفجوات التي تعاني منها بعض أسـاليب العـلاج الكلاسـيكية، ولاسيما فيما يتعلق بعدد من الأمراض المزمنة مثل ألم أسفل الظهر والتهاب المفصل العظمي للركبة والإجهاد والقلق والاكتئاب والغثيان والألم بعد العمليات الجراحية. إنني لست هنا لأملي عليكم ما ينبغي عمله، بل الشيء الوحيد الذي أود أن أقترحه عليكم هو البحث عن نهج مفيد كهذا. ويحدوني أمل كبير أيضاً في أن أطلع علـى إنجازات بعض منكم في هذا المضمار في الوقت المناسب.

سيداتي وسادتي، إن هذه الملاحظات التي أدلي بها هنا هي ثمرة سلسلة من اللقاءات والمناقشات التي جمعتني بأشخاص من مختلف أنحاء العالم وتناولت فيها موضوع الصحة ، لكنني أقدر بالطبع الخبرة الكبيـرة التي تتمتعون بها أنتم وحكوماتكم فيما يخص هذه المسألة الهامة. ولا يسعني إلا أن أثير فـيكم روح التحـدي وبعض الأفكار التي ربما تشكل بعض الروافد الفكرية في مداولاتكم.

لقد سبق لي وأن قلت إن العبء الذي تفرضه الأمراض الطويلة الأجل اليوم هو، إلى حد ما، نتيجـة معاملتنا لأجسامنا وعالمنا كمجموعة من العناصر المنفصلة عن بعضها البعض. ولكـن، بـالطبع، لا داعـي للتنقيب في الماضي. لقد كتب رئيس الوزراء البريطاني، وينستن تشرشل، في يوم من الأيام عبارة "أنا علـى يقين تام من أننا لو أثرنا صراعاً بين الماضي والحاضر، لأدركنا أننا ضيعنا المستقبل". فأنتم إن جاز لي القول رعاة المستقبل. وتقع على عاتقنا جميعاً مسؤولية فهم العلاقة المعقدة التي تربط صـحة الإنـسان بمجتمعاتنـا المختلفة وأنماط عيشنا الحديثة ونُظمنا الإيكولوجية الهشة.

لقد قال أفلاطون قبل عدة قرون "لا فائدة من معالجة الجزء ما لم نعالج الكل". وبعد قـرون، أقـرت منظمة الصحة العالمية بهذا المبدأ في دستورها الصادر عام ١٩٤٨ (وهو يوافق السنة التي ولدت فيها) الـذي عرفت فيه الصحة بأنها "حالة اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً". ومن ثم، فالفرصة سانحة اليوم كي نعيد تعريفً نُظمنا الصحية بحيث توفّر لنا التوازن والترابط اللذين نحن بحاجة ملحة إليهما فـي القـرن الحـادي والعشرين.

سيداتي وسادتي، إذا عززنا المبادئ الإنسانية والتوجيهية للصحة المتكاملة من خلال الجمع بين أفضل ما تركته لنا العصور الماضية من أساليب جربت جيداً والتي جرت عليها بدقة وصرامة حسب متطلبات العلم التكنولوجيا في عصرنا، فأعتقد أننا سنكون قد اتخذنا أول خطوة جريئة نحو تكوين رؤيـة جديـدة لمـستقبل الرعاية الصحية في العالم. وأنتم في هذه المهمة تمثلون لنا كل الأمل وأتمنى لكم كل النجاح والتوفيق.

= = =